

## لماذا بدأ آل سعود البحث عن نهاية لحرب اليمن؟

حسين مجذوب

هل اقتربت حرب اليمن من نهايتها؟ قد يكون الجواب بنعم وفق مؤشرات الواقع السياسي والحربي خلال الشهور الأخيرة، عملياً، تبحث العربية السعودية عن من يساعدها في الخروج من حرب «فيتنام العربية» مع حفظ ماء الوجه. وتنتهي هذه الحرب بخلاصات إلى ما هو أبعد من العلاقات بين السعودية واليمن. نعم، اقتربت هذه الحرب من نهايتها بعدما خابت توقعات عدد من الدول في تحقيق نصر سريع واحتواء التمدد الإيراني، وعلى رأسها العربية السعودية والولايات المتحدة اللتان تعدان أكبر الخاسرين سياسياً وعسكرياً وبحجم أقل للإمارات العربية المتحدة.

لقد جرى اتخاذ قرار الحرب بين ثلاث دول وهي العربية السعودية والولايات المتحدة وإسرائيل، وكان الهدف هو الحد من النفوذ الإيراني في اليمن، بعدما قررت طهران دعم الحوثيين، بدءاً من محاصرة العربية السعودية على شاكلة ما فعلت بـ«حزب الله» مع إسرائيل. وفي الوقت ذاته، هناك أجندتاً أمريكية - إسرائيلية مختلفة نسبياً، وهي الاعتقاد في أن الحرب قد تخفف من الوجود الإيراني في الأراضي السورية عبر توجيه جزء من «المليشيات الشيعية» إلى اليمن، بدل تجمعها بكثافة بالقرب من الحدود الإسرائيلية. وأخيراً إعادة اهتمام الإدارة الأمريكية بالخليج العربي، بعدما أصبح الخليج ملفاً ثانوياً لدى واشنطن بشهادة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما. وبعد أربع سنوات من الحرب، لم تتحقق أهدافها المسطرة، وبدأت مسافة ألف ميل للبحث عن حل مشرف لحكام السعودية، بعدما تحولت الحرب إلى استنزاف سياسي ومالى وعسكري لآل سعود. والدروس المستوحاة من هذه الحرب متعددة وأبرزها:

- من المنعطفات المهمة العسكرية في هذه الحرب، ما حدث خلال نوفمبر/تشرين الثاني 2017 عندما وجه الحوثيون أول صاروخ باليستي إلى الأراضي السعودية، وفشلوا منظومة باتريوت الأمريكية في اعتراضه. وكان تقرير «نيويورك تايمز» خلال ديسمبر/كانون الأول من السنة نفسها، واعتماداً على أبحاث تقديرية لمركز في كاليفورنيا، قد دق ناقوس الخطر: «حرب اليمن تلقي بسلبياتها على الأمن القومي الأمريكي، لأن باتريوت، قطعة مهمة في السلاح الأمريكي، يجد صعوبة في اعتراض صواريخ باليستية يمنية غير متطورة». ولاحقاً، أصبحت السعودية وبدعم من خبراء أمريكيين يخصصون لكل صاروخ باليستي ستة صواريخ من باتريوت،

ورغم ذلك نجحت بعض الصواريخ البالлистية في الإفلات من الاعتراض وضرب الأهداف. وكان المنعطف الآخر، استعمال الحوثيين منذ قرابة شهر مارس مجنحا في ضرب مطار أبها السعودي، ما جعل ناقوس القلق يدق مجددا في السعودية ودول أخرى مثل إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، لأن الأمر يتعلق بصواريخ موجهة بدقة وليس فقط صواريخ باليستية عادية. وكان التساؤل: إذا نجح صاروخ محنج يمني بتكنولوجيا إيرانية محدودة، فكيف ستكون الصواريخ الإيرانية الحقيقية؟ هذا من العوامل التي جعلت الولايات المتحدة وإسرائيل تحجمان عن مهاجمة إيران، رغم التهديدات الكثيرة بالحرب.

والمعادلة المحرجة لآل سعود أمام مواطنיהם «ممارسة العنف مفرط ضد الشعب، خاصة المعارضين وعجز مطلق أمام الحوثيين

عسكريا، تعرض السلاح الأمريكي لنكسة حقيقة، إذا كانت منظومة صواريخ باتريوت قد فشلت في اعتراض صواريخ باليستية تصنف نسبيا بالبدائية، فماذا ستفعل أمام صواريخ روسية وصينية متقدمة للغاية. هذا المستجد العسكري هو الذي شجع تركيا، العضو في منظومة شمال الحلف الأطلسي، التعاقد مع روسيا لشراء منظومة الدفاع الصاروخية إس 400 بديلا للباتريوت الأمريكي. وهو القرار الذي يخلف أزمة حقيقة وسط الحلف الأطلسي.

- في نقطة أخرى مهمة للغاية، تعد السعودية ضمن الدول الخمس الأوائل في العالم في اقتناء الأسلحة من الغرب، لكن ترسانتها العسكرية الضخمة لم تفعلا في تحقيق انتصار على حركة مسلحة غير نظامية مثل الحوثيين. وهذا درس للكثير من الدول التي تعتقد في أن التوقيع على صفقات عسكرية ضخمة يعني القوة العسكرية، وتحقيق الانتصارات الحربية، لكن حرب اليمن تؤكد هشاشة هذه الأطروحة.

- وأصبحت الأخبار تحمل بشكل يومي تقريرا نجاح الحوثيين في ضرب مطاري أبها وجازان بطائرات مسيرة، وقد ينتقل الأمر إلى الرياض مستقبلا وأبوظبي ودبي، ضمن مفاجآت هذه الحرب. وفشلت الدفوعات السعودية في اعتراض هذه الطائرات، وسيستمر الوضع وقد يتفاقم كثيرا وبكل مرعب لأن الحوثيين يتحكمون الآن في إيقاع الحرب.

ولم يعد الأمر يتعلق فقط بهزيمة عسكرية غير معلنـة للسعودية، بل بدأ يتحول طول الحرب واستراتيجية الاستنزاف التي يمارسها الحوثيون بدعم من إيران إلى مصدر إضعاف للعائلة الملكية، وعلى رأسها ولـي العهد محمد بن سلمان أمام الرأي العام السعودي. والمعادلة المحرجة لآل سعود أمام مواطنـهم «ممارسة العنف مفرط ضد الشعب، خاصة المعارضـين وعجز مطلق أمام الحوثيين». كما أن انتقال الحرب من دفاع عن مفهوم الشرعية، أي إعادة الرئيس منصور هادي إلى الرئـاسة، وطرد الحوثيين، إلى حرب تحـلـ الآن صفة «جرائم ضد الإنسانية» يضع السعودية في موقف دولي حرج لم تشهـدـهـ من قبلـ، بعدـما بدأـتـ الدولـ العربيةـ تتخـلىـ عنـ الـريـاضـ مثلـ المـغـربـ والأـرـدنـ وـمـؤـخـراـ رـغـبةـ الـأـمـارـاتـ فيـ الانـسـحـابـ منـ الـحـربـ. كماـ بدـأـتـ دولـ غـربـيةـ تعـيـدـ النـظرـ فيـ توـقـيعـ صـفـقـاتـ معـ الـرـيـاضـ. لقدـ رـفـضـتـ الـعـرـبـيـةـ الـسـعـودـيـةـ الوـسـاطـاتـ السـيـاسـيـةـ خـلـالـ السـنـوـاتـ

الماضية، واعتقدت في تحقيق انتصار على الحوثيين الذي تعتقد أنه انتصار على إيران ووقف التغلغل الشيعي- السياسي العسكري في شبه الجزيرة العربية. لكن كل مخططات آل سعود في اليمن فشلت. ووالآن بعدما بدأت الحرب تشكل استنزاً للرياض، وتأكد عدم شن الولايات المتحدة حرباً ضد إيران، أصبح هاجس ولد العهد محمد بن سلمان، البحث الصامت عن الانسحاب بشرف من هذه الحرب ولو طلب الأمر تعويضاً بالمليارات إعادة تعمير ما دمرته الحرب في اليمن. نعم، لقد أُوشكت الحرب على نهايتها، وقد تصبح من مخلفات الماضي الأليم قبل نهاية السنة الجارية.

كاتب مغربي من أسرة «القدس العربي»